

المحاضرة رقم 06: الكتابات التاريخية الجزائرية.

1- بداية الكتابة التاريخية الجزائرية: لم ترتبط الكتابة التاريخية الجزائرية بفترة الاحتلال فقط، بل شملت مختلف فترات التاريخ، وفيما يلي سنركز على الكتابة التاريخية في الفترة الحديثة والمعاصرة.

إن اهتمام الجزائريين بالعهد العثماني ليس وليد مرحلة ما بعد الاستقلال، وإنما برز خلال الفترة الاستعمارية نفسها، ببروز جماعة من المثقفين الذين حملوا أقلامهم للرد على ما ألصقه الفرنسيون من تهم ومغالطات بتلك الفترة، وساعين إلى إبراز أمجاد وانتصارات الجزائريين آنذاك، كما عملوا على إحياء التراث الموروث من خلال تحقيق عدد هام من المخطوطات التي ألفها معاصرو ذلك العهد، وفي هذا المجال برز عدد من الجزائريين، بعضهم تخرج من مدارس فرنسية، وآخرون تشبعوا بالثقافة العربية الإسلامية لما تكونوا في الجامعات بالبلدان العربية والإسلامية.

2- مفهوم المدرسة التاريخية الجزائرية: "سئل شيخ المؤرخين الجزائريين الأستاذ أبو القاسم سعد الله هل توجد مدرسة تاريخية جزائرية حقا في الواقع، محددة المعالم، معروفة الخصائص، واضحة الأسس والأهداف؟، فكان من جوابه: ربما يمكن وصف المرحلة التي نحن فيها بمرحلة ردود الفعل على المدرسة التاريخية الفرنسية الموجهة للجزائر، وردود الفعل لا تؤسس مدرسة تاريخية جزائرية، إنها بمثابة حوار بين طرفين (هم يقولون، ونحن نقول)، أو كما يقول القدماء عند الجدل: فإن قلت كذا، قلنا كذا".

وعرفها ناصر الدين سعيدوني، بقوله: "هي المساهمات التاريخية الرئيسية في الفترة الاستعمارية، وفي السنوات الأولى للاستقلال، والتي تندرج ضمن اتجاهات فكرية ومناهج تاريخية متباينة الأهداف، مختلفة الأساليب، متعددة المواضيع والاهتمامات. ورغم ما قد يؤخذ اليوم على هذه المدرسة التاريخية من كونها كانت تعتمد في أسلوبها على العاطفة، ولا تتقيد بطرق البحث المنهجي، إلا أنها لا تخلو في الواقع من قيمة تاريخية ووزن علمي.

3- مراحل الكتابة التاريخية الجزائرية:

مرت المساهمة الوطنية الجزائرية في تاريخ الجزائر بمرحلتين:

- المرحلة الأولى: غلبت عليها حركة إحياء التراث، ونشر المصادر التاريخية الجزائرية، من تأليف وتراجم شخصيات ورحلات، وقد مثل هذه المرحلة بجدارة كل من محمد بن أبي شنب (1869-1929)، الذي أعاد إحياء الكثير من المخطوطات تتعلق بالعهد العثماني، نذكر منها: (نحلة اللبيب في أخبار الرحلة إلى الحبيب لابن عمار أبو العباس سيدي أحمد عام 1902، البستان في ذكر العلماء والأولياء بتلمسان لابن مريم عام 1908، نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار للورثاني الحسين عام 1908)، وأبو القاسم الحفناوي (1850-1942) تعريف الخلف برجال السلف عام 1906.

- أما المرحلة الثانية: للمساهمة الوطنية الجزائرية في مجال التاريخ، فقد ابتدأت مع مستهل الثلاثينات من القرن العشرين (1930)، وتوجهت إلى معالجة التاريخ الجزائري باعتباره وحدة من حيث المدى الزمني والحيز الجغرافي، مع التركيز على إظهار البطولات والأعمال الجليلة،

أ. نبيلة بن يحي

وحركات التحرير ضد المحتلين الأجانب المتمثلين في الرومان، والوندال والبيزنطيين والإسبان والفرنسيين. ويمثل هذه المرحلة كل من الشيخ محمد مبارك الميلي الهلالي (1880-1945)، والأستاذ أحمد توفيق المدني (1898-1983)، والشيخ عبد الرحمان الجيلالي، والشيخ علي دبور (1981-1918).

4- دوافع الكتابة التاريخية الجزائرية:

- الرد عما كتبه مؤرخو المدرسة التاريخية الفرنسية.
- محاولة تصحيح المغالطات التي ألصقت بتلك الفترة.
- بعض المؤلفين ألفوا كتبهم بطلب وتشجيع من الفرنسيين.
- إبراز البعد الإسلامي للشعب الجزائري.

5- العوائق والصعوبات التي واجهت الكتابة التاريخية الجزائرية:

- انهيار الحكم العثماني، ومجيء الأوروبي الكافر للجزائر، فالتاريخ كان دوما للسلطان.
- عمليات السلب والنهب التي طالت عددا من الوثائق والمخطوطات التاريخية الجزائرية.
- تغيب تدريس التاريخ الجزائري والإسلامي في المدارس الرسمية خلال العهد الاستعماري، مما تسبب في انقطاع المتعلم عن المراجع والبحوث والآراء حول الكتابة التاريخية.